الصوت يتغنى بالقران اي ما استمع الله لشي كاستماعه لنبي يتغنى بالقران ان يتلوه
يجهر به يقال منه اذن ياذن اذنا بالتحريك • علمت ان هذا الترجيع منه عليه
الصلاة والسلام كان اختيارا لا اضطرارا لهز الناقة له فان هذا لو كان لاجل
هز الناقة لما كان داخلا تحت الاختيار فلم يكن عبد الله ابن مغفل يحكيه ويفعله
اختيارا ليتاسى به وهو يرى هز الراحلة له حتى ينقطع صوته ثم يقول
كان يرجع في قراته فنسب الترجيع الى فعله ولو كان من هز الراحلة لم يكن منه فعل
يسمى ترجيعا • وقد استمع عليه الصلاة والسلام ليلة لقراة ابي موسى الاشعري فلما
اخبره قال لو كنت اعلم انك تسمعه لحبرته لك تحبيرا اي حسنته وزينته
بصوتي تزيينا • وهذا الحديث يرد على من قال ان قوله زينوا القران باصواتكم من باب
القلوب اي زينوا اصواتكم بالقران فان القلب لا وجه له قال ابن الاثير ويويد
ذلك تاييدا لا شبهة فيه حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل شي
حلية وحلية القران حسن الصوت والله اعلم • وقد اختلف العلما في هذه المسالة
اختلافا كثيرا يطول ذكره وفصل النزاع في ذلك ان يقال ان التطريب والتغني على
وجهين احدهما ما اقتضته الطبيعة وسمحت به من غير تكلف ولا تمرين وتعليم
بل اذا خلا في ذلك وطبعه واسترسلت طبيعته جاءت بذلك التطريب والتلحين
فهذا جائز وان اعانته طبيعته على فضل تزيين وتحسين كما قال ابو موسى للنبي
صلى الله عليه وسلم لو علمت انك تسمع لحبرته لك تحبيرا • والحزين ومن هاجه الطرب
والحب والشوق لا يملك من نفسه دفع التحزين والتطريب في القراة ولكن النفوس
تقبله وتستحليه وتستملحه لموافقة الطبع وعدم التكلف والتصنع فهو مطبوع
لا متطبع وكلف لا متكلف فهذا هو الذي كان السلف يفعلونه ويسمعونه
وهو التغني المحمود وهو الذي يتاثر به التالي والسامع • والوجه الثاني ما كان
من ذلك صناعة من الصنايع ليس في الطباع السماحة به بل لا يحصل الا بتكلف
وتصنع وتمرن كما يتعلم اصوات الغنا بانواع الالحان البسيطة والمركبة
على ايقاعات مخصوصة واوزان مخترعة لا تحصل الا بالتعلم والتكلف فهذه هي
التي كرهها السلف وعابوها وانكروا القراة بها • وبهذا التفصيل يزول الاشتباه
ويتبين الصواب من غيره • وكل من له علم باحوال السلف يعلم قطعا انهم
برا من القراة بالحان الموسيقى المتكلفة التي هي على ايقاعات وحركات موزونة
معدودة محدودة وانهم اتقى لله من ان يقروا بها ويسوغوها • ويعلم قطعا
انهم كانوا يقرون بالتحزين والتطريب ويحسنون اصواتهم بالقران ويقرونه
بشجا

بشجا تارة وبطرب اخرى وهذا امر في الطباع ولم ينه عنه الشارع مع شدة تقاضي
الطباع له بل ارشد اليه وندب اليه صلى الله وسلم عليه واخبر عن استماع الله لمن قرا به
وقال ليس منا من لم يتغن بالقران وليس المراد الاستغنا به عن غيره كما ظنه بعضهم ولو
كان كذلك لم يكن لذكر حسن الصوت والجهر به معنى • والمعروف في كلام العرب ان التغني
انما هو الغنا الذي هو تحسين الصوت بالترجيع قال الشاعر •
• تغن بالشعر اما كنت قايله • ان الغنا لهذا الشعر مضمار •
وروى ابن ابي شيبة عن عقبة بن عامر مرفوعا تعلموا القران وغنوا به واكتبوه
الحديث والله اعلم وقد صح انه صلى الله عليه وسلم سمع ابا موسى الاشعري يقرا فقال
لقد اوتي هذا مزمارا من مزامير ال داود يعني من مزامير داود نفسه كما ذكره اهل
المعاني • وفي طريق اخر كما تقدم ان ابا موسى قال يا رسول الله لو علمت انك تسمع لحبرته
لك تحبيرا قال ابن المنير فهذا يدل على انه كان يستطيع ان يتلو بحيث من المزامير
عند المبالغة في التحبير لانه قد تلا مثلها وما بلغ الحد فكيف لو بلغ حد استطاعته
وقد كان داود عليه السلام اذا اراد ان يتكلم على بني اسرايل يجوع سبعة ايام لا ياكل
ولا يشرب ولا ياتي النسا ثم يامر سليمان فينادي في الضواحي والنواحي والاكام
والاودية والجبال ان داود يجلس يوم كذا ثم يخرج له منبرا الى الصحرا فيجلس عليه
وسليمان قايم على راسه • فتاتي الانس والجن والطير والوحش والهوام والعذارى
المخدرات يسمعون الذكر فياخذ في الثنا على الله تعالى وعز وجل بما هو اهله فيموت
طايفة من المستمعين ثم ياخذ في النياحة على المذنبين فتموت طايفة • فاذا استحر
الموت بالخلق قال له سليمان يا نبي الله قد استحر الموت بالناس وقد مزقت
المستمعين كل ممزق فيخر داود مغشيا عليه • فيحمل على سريره الى بيته وينادي
منادي سليمان ايها الناس من كان له مع داود قريب او حميم فليخرج لا فتقا
كانت المراة تاتي بالسرير فتقف على زوجها او ابنها او اخيها فتدخل به المدينة
فاذا افاق داود في اليوم الثاني قال يا سليمان ما فعل عباد بني اسرايل فيقول له
سليمان قد مات فلان وفلان وهلم جرا فيضع يده داود على راسه وينوح
ويقول يا رب داود اغضبان انت على داود حتى انه لم تمت فيمن مات خوفا
منك او شوقا اليك فلا يزال ذلك دابه الى المجلس الاخر • واقام داود عليه السلام
على ذلك ما شا الله تعالى • ولا تنطق بما ذكرته من حال بني اسرايل بهم في ذلك اعلا
من هذه الامة • فاما المزامير فحسبك ما ذكر من حال ابي موسى الاشعري رضي الله
عنه • واما الموت من الموعظة شوقا وخوفا فلنا فيه طريقان احدهما ان نقول

Copyright © King Saud University